هجرة العلماء من وإلى بغداد للمدة 656 – 734هـ/1258 – 1336م

أ. د. عادل محيي الدين الألوسي*

منهج البحث:

يتناول بحثي هجرة العلماء زمن المغول الإيلخانيين وعلى وجه الخصوص بعد واقعة بغداد 656هـ/1258م، ومع أن مصادرنا التاريخية إن لم نقل كل تآليفنا قد أجمعت على أن الخراب والدمار الشاملين قد حلا ببغداد بعد هذه الواقعة، وأن همجية هؤلاء الغزاة ووحشيتهم ووثنيتهم قد ذهبت بكل مايعود للعلم والثقافة إلى جانب تعطيلها مفاصل الحياة العامة الأخرى، وهي مسألة درجنا عليها واعتدنا سماعها، ولكننا أغفلنا أمراً بالغ الأهمية، وهي أن بغداد حاضرة الخلافة العربية الإسلامية، ،أم الدنيا، وقلعتها الشامخة قد تجاوزت هذه المحنة، فلم تشهد إلا ركوداً ثقافياً محدوداً لم يدم طويلاً، عادت بعده كما كانت مركزاً يستقطب العلماء من كل فج عميق، تنتشر فيها المدارس التي تضم آلاف الطلاب وخيرة التدريسيين البغداديين وغير البغداديين عرباً ومسلمين.

في هذا الإطار العام يدور بحثي الإحصائي المؤلف من نقاط ثلاث:

تناولت النقطة الأولى، العلماء الذين أسروا من قبل المغول، والذين تركوا بغداد لسبب أو لآخر فمنهم من هرب خوفاً، ومنهم من طلب الهجرة سياحة أو زهداً وتصوفاً، أو رحلة في طلب العلم.

وفي النقطة الثانية، تناول البحث العلماء الذين قدموا إلى بغداد بعد الواقعة حتى نهاية التسلط الإيلخاني على العراق.

وتركت النقطة الثالثة، لأدون فيها ملاحظاتي التي استخلصتها من البحث وهي في نظري جوهر ما أتوخاه، وأملي أن أوفق في ذلك.

والله من وراء القصد والحمد لله رب العالمين

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي كلية الآداب – جامعة ذمار – اليمن

أ. الأسرى من العلماء خلال الواقعة:

1. ابن الفوطي (642-723هـ)، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي نسبة إلى جده لأمه الذي كان يبيع الفوط من ذرية معن بن زائدة[1]، ولد ببغداد وعني بالأدب والحديث وعرف بخطه الجيد، وتتلمذ على يد كمال الدين الحموي، وفخر الدين الخفاجي[2]، شهد واقعة بغداد وعمره أربعة عشر عاماً، واطلع على حوادثها ولم تؤثر فيه الواقعة فاستمر في اتصاله بالعلماء والمحدثين والأدباء، وحفظ المقامات الحريرية[3]، وبعد الغزو أخذ أسيراً إلى أوربيجان واستمر أسره إلى سنة 658هـ، وقد قضى خارج بغداد بعد الأسر شطراً كبيراً من حياته يناهز ربع القرن 656-679هـ، قضاها في تبريز ومراغة وحواضر أخرى، اتصل بعلمائها وحكمائها وأعيانها[4]. عاد إلى بغداد بعد غربته وأقام في المحلة الجعفرية مع أهله، وتولى خزانة كتب المستنصرية، وهواخر منصب تولاه إلى أن مات مفلوجاً عام 723هـ، عن عمر بلغ الواحد والثمانين عاماً [5]، ومن تآليفه: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، وكتاب مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب في خمسين مجلداً، وكتاب تلخيص مجمع الألقاب وهو اختصار مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب[6].
2. الأبهري (توفي سنة 762هـ)، عماد الدين أبو محمد الحسن بن محمد الأبهري شيخ رباط الخلاطية، يعرف بالزمهرير لبرودة في لهجته[7]. كان ببغداد لما وقعت الواقعة، وأخذ مع الأسرى إلى مراغة، عاد إلى بغداد بصحبة نصير الدين الطوسي الذي تشفع له عند (اولجاي خاتون) ونزل في خدمته سنة اثنتين وسبعين وستمائة، ورتب شيخاً بالرباط، وكتب له التحف أي (التوقيع)[8].
3. ابن المحيا العباسي (ت673هـ)، محيي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين يحيى بن هبة الله ابن المحيا العباسي الكوفي البغدادي، النقيب المدرس في المستنصرية الخطيب شيخ رباط الشونيزية، وقد اسر بعد الواقعة مباشرة وعمره تسع سنين[9]. وفي مراغة حيث استقر الأسر، قرأ على الطوسي والقزويني وعاد إلى بغداد، وولي القضاء بالجانب الغربي ودَرَس الحنفية بالمستنصرية، ولما مات دفن في قبة الإمام أبي حنيفة[10].

ب. العلماء المهاجرون من بغداد:

1. البلالي الأموي (685-754هـ)، عمر بن عمران بن صدقة البلالي الأموي، نسبة إلى بلال بن الوليد بن هشام بن عبد الملك بن مروان، قدم إلى بغداد من بلاد كيلان، ودرس في المستنصرية، وكان على خصومة مع ملك التتر لاتهامه بمكاتبة المصريين وإفشاء أخبارهم، وقد سافر هرباً إلى دمشق وأقام فيها مسجوناً خمس سنوات[11].
2. ابن الزجاج (612-685هـ)، عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس البغدادي الحنبلي المعروف بابن الزجاج[12]، من أهل المأمونية ببغداد، وكان شيخاً عالماً فقيهاً محدثاً متبعاً السنة شديداً على المبتدعة[13]، خرج من بغداد متجها إلى الشام ومنها توجه إلى الحجاز سنة 684هـ، ومنها عاد إلى دمشق ليواصل جهاده وبها توفي ودفن[14].
3. الأصفهاني: علاء الدين أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن عباد الأصفهاني البغدادي، عين محتسباً على مدينة السلام عام 673هـ، ولسوء تصرفه وإهماله لواجبه هرب من العراق إلى الشام ثم إلى الحجاز حيث تصوف إلى جوار الحرم الشريف[15].
4. السكرجي: علاء الدين علي بن عبد المؤمن بن كردمير التركستاني، اشتغل في المدرسة العلائية التي بنيت عام 693هـ وإليه نسبت، وقد هجر بغداد متوجهاً إلى أذربيجان عام 705هـ[16].
5. الفزاري: برهان الدين أبوإسحاق ابراهيم بن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية، هرب من بغداد بعد الغزو إلى دمشق وفيها زاول التدريس بالمدرسة الشافعية، ولما دخل التتار إلى دمشق نفي إلى مصر[17].
6. النوجا باذي: ظهير الدين أبو المظفر البخاري، ولد سنة 616هـ وقدم من كرمان لما استدعاه الصاحب علاء الدين للتدريس في المستنصرية، وكان عالماً فقيهاً بالمذهب الحنفي، له تصانيف منها: " كشف الابهام لدفع الأوهام" و " كشف الأسرار" في أصول الفقه و "تلخيص القدوري"، درس الحنفية بالمستنصرية وسافر إلى دمشق وفيها توفي[18].
7. النوجا باذي الابن: فخر الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن عمر البخاري، قدم من كرمان ونزل ببغداد مدرساً في المغيثية سنة سبع وسبعين وستمائة [19]، تولى الحسبة بجانبي بغداد وتوجه مع والده إلى الشام وفيها كانت وفاته [20].

8. الدافغاني البغدادي (ت 658هـ)، فخر الدين أبو طالب أحمد بن محمد ابن الحسن الدافغاني البغدادي صاحب الديوان، تولى أرفع المناصب زمن الخليفتين العباسيين المستنصر بالله والمستعصم بالله، ولما قتل الأخير رحل إلى أذربيجان، وقد استشهد في نواحي أشنوية سنة 658هـ[21].
9. ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان الأربلي، فقيه وأديب وشاعر ومؤرخ (681هـ) صاحب كتاب " وفيات الأعيان" و " سيرة الملك الظاهر بيبرس البندقداري"[22].
10. عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، مؤرخ (682هـ) له كتاب " سير الملك الظاهر بيبرس" [23].
11. عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج الفاروثي الواسطي، محدث وفقيه (694هـ)، وقد زُعم أنه خلف ألفين ومائتي مجلد[24].
12. سيف الدين الساوي أحمد بن محمد بن علي بن جعفر الصدر الأديب الرئيس سيف الدين الساوي (696هـ)، نزل دمشق وأقام فيها عمل الأرجوزة المشهورة بالسامرية [25].

ج. القادمون من العلماء إلى بغداد

1. رضي الدين طاوس (589-664هـ) أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد.... بن محمد الطاوس، ولد في الحلة ثم غادرها إلى بغداد وأقام فيها خمسة عشر عاماً ثم عاد إلى الحلة، وفي زمن المغول عاد إلى بغداد وولي نقابة الطالبين مدة ثلاث سنين وأحد عشر شهراً من قبل هولاكو مع امتناعه عن قبول هذه الولاية في عهد المستنصر بالله [26]، له كتب ومؤلفات في التاريخ والأحكام والفلك تزيد على الثلاثين كتاباً، طبع منها أربعة عشر كتاباً[27].
2. نصير الدين الطوسي (ت 672) الخواجة أبو جعفر محمد بن الطوسي، قدم إلى بغداد سنة 662هـ من مراغة بصحبة السلطان أبي قاخان[28]، وكان هو وابنه فخر الدين أحمد يشرفان على مدارس بغداد ومنها المستنصرية، وكانت وفاته في بغداد سنة 672هـ[29]، وقيل إنه انتحر في هذه السنة ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب قديم البناء خالٍ من الدفن[30].

3. نور الدين العبدلياني: (624-684هـ)، أبو طالب عبد الرحمن بن عمر الحنبلي الملقب نور الدين القدير[31]، ولد بناحية عبد ليا في البصرة واليها نسب، قدم إلى بغداد وسكن بمدرسة أبي حكيم، وعين فقيهاً بالمستنصرية، وأذن له بالفتوى سنة 648هـ[32]، وبعد وقعة بغداد درس الحنبلية بالمدرسة البشيرية سنة 662هـ، وله عدة تصانيف منها " جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم" و "الحاوي في الفقه" و "الشافي في المذهب الحنبلي" ، دفن في مقبرة بباب حرب بين يدي الإمام أحمد بن حنبل[33].

4. الطهراني الرازي (ت667هـ) فخر الدين أبو بكر عبد الله قدم إلى بغداد وتولى القضاء والتدريس والحسبة، وكان من المقربين إلى هولاكو وزعم أنه كان يعمل لحسابه، وقد دفن بالخيزرانية[34].

5. ابن الأبري البغدادي (584-667هـ) كمال الدين أبو عبد الله محمد ولي قضاء واسط أيام المستنصر بالله سنة 627هـ[35]، ولما فتحت المستنصرية رتب فيها معيداً، وبعد الواقعة درس فيها المذهب الحنفي بعد أن قدم إليها من واسط [36].

6. مجد الدين طاووس العلوي: من أشراف الحلة وعلمائها المعروفين قدم إلى بغداد بعد فتحها بصحبة جماعة من العلويين والفقهاء ومثلوا أمام هولاكو وسألوه حقن دمائهم وإطلاق حرياتهم للعمل في بلادهم فأجاب طلبهم وعين لهم (شحنة)[37] فعادوا إلى بلادهم الحلة[38].

7. التبريزي: فخر الدين أبو المكارم أحمد بن القاضي مجد الدين.... ابن الحسين الشريف الحسيني التبريزي الحاسب الكاتب الشاعر، وقد قدم إلى بغداد سنة تسع عشرة وسبعمائة وسلم حساب الديوان والوقوف[39].

8. ابن الطقطقي: (660-709هـ) جلال الدين أبو جعفر محمد بن تاج الدين أبي الحسن علي بن طباطبا الحسني العلوي المؤرخ البارع[40]، تولى زعامة العلويين في الحلة والنجف وكربلاء بعد وفاة والده سنة 680هـ، تزوج أمرأة من خراسان وزار مراغة وعاد إلى بغداد، ومن ثم سافر إلى الموصل، وفيها ألف مصنفه المشهور "

الفخري" الذي أهداه إلى (فخر الدين عيسى بن إبراهيم) عامل غازان المغولي على الموصل وقد فرغ من تأليفه سنة 701هـ[41].

9. المخزومي: (682هـ)، محيي الدين أبو المحامد يحيى بن شمس الدين... ابن أحمد الخالدي المخزومي الشيذي نسبه إلى شيذ وهي من قرى أبيور[42]، وفيها قرأ القرآن المجيد وسمع الحديث الشريف، قصد بغداد وسكنها ونزل بأهله دارسوسيان[43]، تولى خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية سنة 671هـ وبقي فيها إلى أن توفي[44].

10. كهف الدين القصري: أبو إبراهيم إسماعيل بن عثمان..... القصري نسبه إلى قصر أبي هبيرة، كان عالماً حافظاً واعظاً، وقد ورد إلى بغداد سنة 675 ووعظ في المدرسة المستنصرية[45]، تعرف عليه ابن الفوطي وحصل منه على كراسة بخطه[46].

11. عز الدين اليماني الهاشمي: يحيى بن قاسم بن عمر بن علي وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في صنعاء سنة 680هـ باليمن و هو شافعي المذهب، وقد رحل إلى بغداد وتولى إمامة الشافعية في المستنصرية، وقرأ بها القرآن على ابن المحروق الواسطي زار خراسان ودمشق وقصد مكة حاجاً وهو شيخ في السبعين من العمر وفيها توفي[47].

12. فخر الدين أبو سعيد: (631-685هـ) بن شرف الدين علي بن الملك جمال الدين قشمر التركي الأمير ولد في الحلة سنة 631هـ، ورتب على عهد المستنصر بالله وعمره خمس سنين وهو أصغر أمير رتب في الدولة العباسية وبقي بعد أخذ بغداد، صنف كتباً في البيطرة والصيد، رغب العيش في بغداد وأذن له هولاكو بذلك[48].

13. كمال الدين العبادي العقرقوفي: أبو الحسن علي بن محمود بن مظفر، نزل بغداد وتولى فيها نظارة المستنصرية، وقد قال الشعر وتوفي سنة (685هـ)[49].

14. شمس الدين محمد بن الكبشي: وصل إلى بغداد سنة 665هـ، وعين مدرساً بالمدرسة النظامية وحضر درسه الحكام والعلماء، فلم يزل على ذلك إلى أن خطر له التوجه إلى بهاء الدين بن الصاحب شمس الدين الجوفي[50].

15. التفتازاني: فخر الدين أبو بكر محمد بن عبد الله، قدم إلى بغداد واستوطنها وسمع الحديث على شيوخها آنذاك، تولى خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية وفي سنة 701هـ ولي القضاب بالجانب الغربي، ودرس أيضاً بالمدرسة البشيرية[51].

16. سنجر البغدادي: قدم إلى بغداد سنة 688هـ، كان طبيباً ماهراً وقد درس اختصاصه في المدرسة المستنصرية إضافة إلى وظيفته الأصلية كناظر لها[52].

17. ابن المشهدي: فخر الدين أبو المحاسن يوسف بن رشيد الهمذاني الكاتب الأديب، ولد في تبريز سنة 678هـ، وقدم بغداد عام 682هـ ودرس في مدارسها[53].

18. ابن بلدجي الموصلي: عماد الدين أبو الفرج عبد الرحمن تاج الدين، قدم إلى بغداد وعين فقيهاً في المدرسة النظامية، وقد ذكر ابن الفوطي أنه رآه سنة تسع وسبعين وستمائة في بغداد[54].

19. عز الدين أبو الفضل عبد العزيز بن جمعة الموصلي النحوي، ولد في الموصل سنة 628هـ، ولما قدم إلى بغداد درس النحو في المستنصرية ولازم الطوسي إلى أن توفي عام 672هـ، ومن تأليفه "شرح كتاب الدرة الألفية" و "كتاب الأنموذج في النحو للزمخشري"[55].

20. الجندي (698هـ) فخر الدين أبو الفضل هبة الله بن محمود ..... من علماء ما وراء النهر، دخل بغداد بصحبة غازان بن أرغون المغولي، وكان أديباً شاعراً، وقيل أنه عاد إلى تبريز وفيها توفي[56].

21. عز الدين الأصفهاني: (661هـ) عز الدين أبو حمد عبيد الله بن محمد بن عباد الأصفهاني، قدم بغداد وكان من فقهاء المستنصرية، وهو أول من خطب بالجامع في بغداد بعد الوقعة[57].

22. عز الدين الساجوساني: (684هـ) أبو الفضل يحيى بن فضل، قدم إلى بغداد من مراغة وتفقه فيها ثم درس في المدرسة المستنصرية[58].

23. علاء الدين عطا ملك الجويني، قدم بغداد في معية هولاكو وعينه صاحب ديوان العراق، وظل في منصبه ما يزيد قليلاً على اثنتين وعشرين سنة، منذ عام 657هـ، وكان عالماً عارفاً بقوانين الدولة وله شعر جيد[59].

24. بدر الدين لؤلؤ: صاحب الموصل، دخل بغداد بعد الواقعة وقابل هولاكو الذي أنعم عليه وأكرمه، عرف بدهائه وسعة اطلاعه[60].

25. السعدي البخاري: من أهل بخارى، قدم إلى بغداد بعد سنة 672هـ واستوطنها، وكان طبيباً حاذقاً[61].

26. علم الدين الشارمساحي: (673هـ) قدم من مصر وعين مدرساً للمالكية في المدرسة المستنصرية ومن ثم في المدرسة البشيرية[62].

27. المرندي: عماد الدين أبو ذي الفقار محمد بن الأشرف ذي الفقار ابن جعفر الحسني المرندي الشافعي، ولد بمرند بأذربيجان سنة 596هـ، قدم بغداد ودرس الشافعية في المستنصرية[63].

28. عز الدين الرزندي: (712هـ) أبو المظفر يوسف بن الحسن، قدم بغداد من كرمان وأثبت من جملة الفقهاء بالمستنصرية، قيل أنه حج عدة مرات[64].

29. سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري البغدادي، أشعري حنبلي رافضي (716هـ)، أتى دمشق سنة 704هـ وتوفي في الخليل وله كتاب العذاب الواصب على أرواح النواصب[65].

30. عبد الله بن أبي عمر الفارسي (706هـ)، فقيه شافعي عاد إلى بغداد من دمشق[66].

31. عبد الله بن محمد بن أبي بكر الزريراني العراقي الحنبلي (729هـ)، فقيه حنبلي عاد إلى بغداد قادماً من دمشق حوالي سنة 700هـ[67].

32. محمد بن أحمد بن شبل أبو عبد الله الحريري المعروف بالبغدادي المالكي (713هـ)، فقيه وأمام مفتٍ عاد إلى بغداد من بلاد الشام قبل وفاته[68].

33. عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن أبي البركات البغدادي الحنبلي (729هـ)، فقيه ومحدث عاد إلى بغداد حتى عرف بفقيه العراق محدثاً على المذهب الحنبلي[69].

د. الملاحظات والنتائج:

بالغ المؤرخون المسلمون في وصف ما أصاب بغداد عام 656هـ على يد الغزاة المغول، وما حل بها من خراب لا عمار بعده[70]، وقد روا عدد القتلى بالملايين [71]، فجاءت رواياتهم تكراراً للمبالغة وأحياناً التناقض بين رواية وأخرى[72].

حقاً أن بغداد قد تعرضت للتخريب والتدمير وأن ركوداً ثقافياً قد أصاب مؤسساتها الأدبية والعلمية، وشل حياتها العامة ولا سيما في الأيام الأربعين الأولى[73]. وأن هذا الغزو الأجنبي قد أدى إلى قتل وجرح العديد من أهالي بغداد، سواء من قتل منهم أثناء الواقعة أو بعدها، أوبعد أن استتب الأمر للغزاة الذين راحوا يتعقبون رجال المقاومة ويصادرون حريات البغاددة ولا سيما العلماء منهم بغض النظر عن جنسياتهم وميولهم الدينية والمذهبية وهو ما نوه إليه بحثي هذا.

ثم لا غرابة في هذا كله مع ما فيه من مأساوية ووحشية، فقد نجد له ما يماثله في تواريخ الغزو والاحتلال العسكري خاصة إذا ما جوبه هذا الغزو بمقاومة وطنية كالتي تعرض لها الغزو المغولي على يد سكان بغداد آنذاك.

فالتتار أقوام غير متمدنة، قدموا من بلاد نائية ينشدون امتلاك الأرض والتوسع غير المحدود، ويطمحون - وهو هدف طالما حلموا به- في السيطرة على بغداد باعتبارها حاضرة الدولة العربية الإسلامية ومقر الخلافة العباسية، ومركز أعرق حضارة بشرية امتد أثرها إلى كل الآفاق. وهي في نظر المغول كما هي في نظر كل الناس ذات عظمة وهيبة وقدسية، فعندها تتواجد العساكر وعلى حدودها تشمخ الأسوار الحصينة التي وقف المغول قبالتها مدة تزيد على الاسبوع[74]، ازدادوا معها شوقاً لمعرفة ما وراء هذه الأسوار الصامدة، وهم إلى جانب هذا وذاك كانوا في حالة لا يحسدون عليها، فقد أصابهم الجوع والتعب وأرهقهم نظامهم العسكري الصارم الذي وضعه قائدهم ومؤسس دولتهم جنكيز خان.

وبين البحث أن من ترك بغداد من العلماء وحملة مشعل الثقافة بعد اجتياحها من قبل الغزاة المغول لا يشكلون إلا قلة، منهم من هجر بغداد لأسباب عائلية أو شخصية أو لحصولهم على حظوة أو دعوة من خارجها، ومنهم من أولع بالسياحة والتنقل وحب الأسفار، وكثير منهم تصوفوا وزهدوا فطابت نفوسهم في الحج ومجاورة بيت الله الحرام.

أما الذين أسروا من العلماء بعد الواقعة فمع قلتهم فأنهم لم يمكثوا في الأسر إلا مدة لا تزيد على السنتين عادوا بعدها إلى مزاولة نشاطهم الثقافي، ومنهم من عاد إلى بغداد ودرس في مدارسها مثل المستنصرية والنظامية والبشيرية وتولى خزائن كتبها كابن الفوطي وابن المحيا العباسي وغيرهم وقد أسلفت ذكرهم وتراجم موجزة لحياتهم.

يقابل ذلك كثرة من العلماء قدموا إلى بغداد بعد سنة 656هـ وزاولوا مختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية والدينية فيها، مما يدل على أن الثقافة في بغداد لم تتوقف كما أن مؤسساتها لم تندرس وأن كانت قد تعطلت لوقت ما، فقد ظلت الدراسة قائمة بالمدرسة المستنصرية بعد وقعة بغداد نحو قرن ونصف القرن، وظل القائمون على شئونها يؤدون واجباتهم الإدارية والثقافية بانتظام[75].

وغير صحيح أن نركن إلى بعض الآراء التي لا تخلو من الغرض والهوى والتي تحاول أن تبرر مواقف المغول وتصفهم بالتساهل وحب العلم ومعاملة العلويين بالحسنى[76] وما إلى ذلك من إدعاءات ومزاعم، وحتى أن افترضنا حدوث النزر اليسير من هذه الحالات، فإنها تندرج في إطار محاولتهم استرضاء الرأي العام البغدادي الذي انتفض لمقاومتهم والتخلص من نفوذهم ووجد في وحشيتهم وتدميرهم لمرافق الحياة العامة في بغداد، عوناً له في تأليب الرأي العام العربي والإسلامي ضد هذا الغزو الهمجي. وكجزء من هذه المساعي الانتهازية التي مارسها المغول ومنهم هولاكو للتودد إلى الناس تقريبهم أو ادعائهم التقرب إلى نفرٍ من محبي العلم والثقافة ممن تعاونوا معهم بشكل أو بآخر حباً في جاه أو حظوة أو تحقيقاً لمآرب أو منزع، ولكن وللحقيقة التاريخية أسجل أن ليس بين هؤلاء من هو عربي يعتز بعربيته ولا بغدادي ينتخي لوطنه ومحتد رأسه، نذكر منهم ابن العلقمي ونصير الدين السعدي وعطا ملك الجويني ونصير الدين الطوسي وأبي بكر زنكي وبدر الدين لؤلؤ وآخرين ولكنهم ليسوا بالكثيرين[77].

وحري بنا أن نذكر وهو أمرٌ له أهميته أن المدة الواقعة بين القرنين السابع والثامن الهجريين وهي الفترة التي تعنينا في هذا البحث، قد شهدت نشاطاً ثقافياً ملحوظاً أسهمت فيه بعض العوائل البغدادية التي ذاع صيتها في آفاق واسعة ومن هذه البيوتات التي عرفت بالعلم والتقى، آل العاقولي وآل الجوزي، وآل النجار وآل الساعي والغوطي والسيوطي.... كما أن

الثقافة خلال هذه المدة لم تقتصر على جانب واحد بل شملت كل الجوانب العلمية والإنسانية، فهناك الأطباء والرياضيون والمهندسين والفلكيون إلى جانب المؤرخين والمفسرين والفقهاء والنحويين والشعراء والخطاطين....[78].

وأخيراً لابد من القول أن المغول غزاة وثنيون عرفوا أو قل جبلوا على الخشونة والقسوة، قاومهم العرب المسلمون ولا سيّما العراقيون مقاومة بطولية، أجبرتهم على التظاهر بالتسامح أحياناً مع من تعاون معهم، و أن احتلالهم بغداد ذائعة الصيت وإسقاطهم الخلافة الإسلامية ممثلة بالعباسيين حينذاك، عد في نظر العامة والخاصة صراع بين الوثنية والإسلام ولذلك أنبرت أقلام الادباء والفقهاء والمؤرخين وغيرهم من المثقفين، لتصف هؤلاء المحتلين بالقتلة السفاكين والكفرة الملحدين وهو ما يفسر لنا بعض المبالغات والروايات اللا معقولة التي تناقلتها كتب التاريخ العربي الإسلامي[79].

المصادر والهوامش:

1. ابن الفوطي: (723هـ) كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة" مطبعة الفرات، بغداد، 1351هـ، ص2.
2. الدجيلي: عبد الصاحب، " أعلام العرب في العلوم والفنون" مطبعة النعمان، النجف 1966، ج2، ص129.
3. معروف: ناجي د.، " تاريخ علماء المستنصرية" مطبعة العاني، بغداد، 1965، ج2، ص87.
4. ناجي معروف، ج2، ص89.
5. الدجيلي: ج2، ص130.
6. الحوادث الجامعة: المقدمة.
7. ابن الفوطي: " تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب" تحقيق د. مصطفى جواد، نشرته وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد، ج4 ق2 ص711.
8. تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق2، ص711-712.
9. خصباك: جعفر حسين د.، " العراق في عهد المغول الإيلخانين" ط1، مطبعة العاني، بغداد 1968 ص267.
10. ناجي معروف: ج1، ص133-134.
11. ناجي معروف: ج1، ص191.
12. السلامي: أبو المعالي محمد بن رافع، " تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار" تصحيح عباس العزاوي، مطبعة الأهالي، بغداد 1938، ص91.
13. السلامي: ص92.
14. السلامي: ص93.
15. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق2، ص994.
16. نفسه: ج4، ق2، ص1051-1052.
17. ابن كثير: (774هـ) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، " البداية والنهاية" ط1، مصر 1966، ج14، ص214.
18. تلخيص مجمع الآداب : ج4، ق3، ص368.
19. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص367.
20. تلخيص مجمع الآداب: ج2، ق3، ص368.
21. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص99-100.
22. ابن كثير، ج 13، ص142، ط1، منشورات الكتب العلمية – بيروت، سنة 2001.، وكذلك الكتبي: محمد بن شاكر (764هـ)، فوات الوفيات، دار الكتب العلمية ط1، ج1، ص153- 155. سنة1421هـ
23. ابن كثير، ج13، ص305.
24. ابن كثير ج13، ص342-343.
25. الكتبي، ج1، ص173، وكذلك الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (764هـ) في كتابه " أعيان العصر وأعوان النصر"، دار الفكر بدمشق وبيروت ط1، 1998، ج1، ص120.

26. الدجيلي: ج2، ص87.
27. الدجيلي: ج2، ص88.
28. خصباك: ص265.
29. ناجي معروف: ج1، ص94.
30. الحوادث الجامعة: ص380-381.
31. السلامي: ص87.
32. ناجي معروف: ج1، ص170.
33. السلامي: ص87.
34. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص195.
35. ناجي معروف: ج1، ص125.
36. ناجي معروف: ج1، ص126.
37. الشحنة كما يقول ابن خلدون في تاريخه " العبر و ديوان المبتدأ والخبر"، المطبعة الباسلية 1957، ج3، ص26. (تعني الأمير ورئيس الشرطة أو بمعنى الخاصة وصاحبها ممثل السلطان في البلد).
38. الحوادث الجامعة: ص330-331.
39. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص85.
40. الدجيلي: ج2، ص118.
41. الدجيلي: ج2، 118-119.
42. تلخيص مجمع الآداب: ج5، ص427.
43. ناجي معروف: ج2، ص79.
44. ناجي معروف: ج2، ص80.
45. ناجي معروف: ج2، ص46.
46. تلخيص مجمع الآداب: ج5، ص310.
47. ناجي معروف: ج2، ص48.
48. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص131-132.
49. ناجي معروف: ج1، ص85-86.
50. الحوادث الجامعة: ص358.
51. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص333.
52. ناجي معروف: ج1، ص87.
53. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص455-456.
54. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص759.
55. ناجي معروف: ج1، ص256.
56. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص436.
57. ناجي معروف: ج1، ص291.

58. ناجي معروف: ج1، ص293.
59. خصباك: ص265، أيضاً تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص1035.
60. الحوادث الجامعة: ص337.
61. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص1057.
62. ناجي معروف: ج1، ص197.
63. ناجي معروف: ج1، ص216.
64. ناجي معروف: ج1، ص274-275.
65. ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي (1089هـ)، في كتابه " شذرات الذهب في أخبار من ذهب" دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج6، ص39-40.
66. الصفدي، في أعيان العصر، ج2، ص709. .
67. الصفدي، في أعيان العصر، ج2، 714.
68. الصفدي، في أعيان العصر، ج4، ص242.
69. ابن العماد: شذرات الذهب، ج6، ص90.
70. السيوطي: (911هـ) الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر " تاريخ الخلفاء" تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة المدني، القاهرة 1964، فقد ذكر في ص467 أن بغداد (قد استبيحت مدة أربعين يوماً بذلوا في أهلها السيف).
71. قدر ابن كثير عدد القتلى (بألفي ألف نسمة) أي بمليوني قتيل -ج14، ص202-، وقدرهم السيوطي (بأكثر من ألف الف نسمة) أي بأكثر من مليون قتيل -ص472- والفرق بين التقديرين حوالي مليون قتيل.
72. من قبيل ما رواه ابن كثير- ج14، ص202 ومابعدها- من أن الناس (كانوا يجتمعون في المساجد والجوامع والربط والمدارس ويغلقون عليهم أبوابها فتفتحها التتار أما بالكسر أو بالنار ثم يدخلون فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة)، وقوله: أن أهل دمشق كانوا يضعون البصل على أنوفهم كي لا يشموا رائحة الجيف في بغداد. ويقول السيوطي، ص467: (ليس في قتلهم استثناء ولا بقاء يقتلون النساء والرجال والاطفال وقصدهم في ذلك إفناء النوع وإبادة العالم).
73. حسن: حسن ابراهيم د. ، " تاريخ الإسلام السياسي" مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1967، ج4، ص136.
74. الخضري: الشيخ محمد، " الدولة العباسية" مطبعة الاستقامة، القاهرة 1953، ص482.
75. ناجي معروف: ج1، ص47.
76. يستندون في ذلك إلى ما جاء في نظامهم (الياسة): " وشرط تعظيم جميع الملك من غير تعصي لملة على اخرى.... وألزمهم أن لا يتعصبوا بشيء من المذاهب ومنعهم من تفخيم الألفاظ ووضع الألقاب" و " لا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب مؤنة ولا كلفة " انظر المقريزي: (845هـ) تقي الدين أحمد بن علي، " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" القاهرة، 1906، ج3، ص358.
77. حسن ابراهيم حسن: ج4، ص157.
78. ناجي معروف: ج2، ص133 ومابعدها، وفيه تفاصيل بأسمائهم.
79. سبق أن أشرت إلى بعض من هذه المبالغات كالتي ذكرها ابن كثير والسيوطي وآخرين.